۱۶۵۱۳

مجله	الازهر
تاریخ نشر	صفر ۱۳۹۲
شماره	۲ سال ۴۴
شماره مسلسل	
محل نشر	مصر
زبان	عربی
نویسنده	مصطفی الطیر
تعداد صفحات	۱۰۲ - ۱۰۲
موضوع	الدعاء فی الاسلام
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحظات	

فقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا » .

والمراد من أنه تعالى قريب من عباده أنه قريب منهم بعلمه لا بذاته ، فإنه تعالى منزه عن المكان ، لأن من يكون فى مكان فهو مفتقر إليه ، والاحتياج من شأن الحوادث ، والله واجب الوجود منزه عن صفات الحوادث ، فهو لهذا منزه عن الاحتياج إلى مكان ، ولأنه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل ، فإنه إذا قرب من شىء بعد عن شىء آخر ، والآية ناطقة بأنه قريب من كل شىء ، فثبت أن القرب بالعلم لا بالمكان ، وهذا هو معنى قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » (الحديد : ٤) وقوله « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » (ق : ٦) وقوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » (المجادلة : ٧) فالمقصود من كونه تعالى معهم أنه يعلم أحوالهم وشئونهم كالمقصود من قربه منهم .

(إجابة الداعى)

ومعنى قوله تعالى : « أجيب دعوة الداع إذا دعان » أنه سبحانه يقول لمن دعاه : لبيك عبدى أو يحقق له مادعا ، فتكون إجابة الدعاء بهذا المعنى مشروطة بموافقتها لمشيئته جل وعلا ، وفاقا لقوله فى آية أخرى : « فيكشف ماتدعون إليه إن شاء » فالمطلق فى كلام الله يحمل على المقيد ، فليس بلازم دائما أن يتحقق المطلوب بالدعاء ، إذ أنه تعالى قد لا يشاء تحقيقه لحكم يعلمها ، ومنها أنه قد يدخر له الإجابة فى الآخرة ، فإن دعوة المسلم لا ترد ما لم يدع بإثم أو يدعو بقطعية رحم أو يعجل ، بمعنى أن يقول : دعوت فلم يستجب لى ؛ فطلبه إما أن يعجل له فى الدنيا ، وإما أن يدخر له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر مادعا وعلى أى حال فالدعاء يؤذن بتسليم الداعى أمره لله معتقدا أن بيده كل شىء ، وتلك مرتبة عالية من الإيمان ، وعلى الداعى أن يعتقد أن مطلوبه إن لم يتحقق فى دنياه فسوف يجد عنه عوضا فى أخراه ، وعليه أن يصبر على بلواه إن لم يتم شفاؤه الذى دعا به ،

أو لم تفرج ضائقته المالية مثلا ، فإن فى الصبر على البلاء خير الجزاء ، وليعلم أن الله قضى من الأزل ما فيه صلاحه وصلاح المجتمع من حوله دنيويا وأخرويا وقضاء الله وحكمته أعظم شأنا من إجابة الداعى وتحقيق مطلبه فى دنياه .

(فضل الدعاء وفائدته)

وللدعاء فضل عظيم لما فيه من تفويض الأمر إلى الله تعالى ، والاعتراف بأن مرد الأمر إليه ، وحسبك فى الدلالة على فضله قوله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » وأنه تعالى يغضب إن تركت سؤاله إذا نزلت بك شدة ، قال تعالى: « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (الأنعام : ٤٣) .

والله يحب أن يسأله العبد جازما ، فلا يعلق سؤاله على المشيئة ثقة به تعالى قال صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغى أن يقول أحدكم اللهم اغفرلى إن شئت ، ولكن يجزم ويقول اللهم اغفرلى » .

فإن قيل : إن المطلوب بالدعاء إن كان مقدراً وقوعه فى علم الله تعالى فلابد من وقوعه وإن لم تدعه ، وإن لم يكن مقدرا وقوعه فإنه لا يقع وإن دعوناه ، فما فائدة الدعاء فى كلتا الحالتين ؟ والجواب : أنه ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا على الدعاء ، فلابد من حصول الدعاء ليحصل ما جعله الله مترتبا عليه .

وإن مثل ذلك كمثل الدواء ، فإذا كان لا يجوز لعاقل أصابه المرض أن يقول إذا كان مقدراً لى الشفاء فى علم الله فلابد منه وإن لم استعمل الدواء ، وإذا لم يكن مقدراً فإنه لا يحصل وإن استعملت الدواء ، بل العقل يقضى بأن يستعمل الدواء ؛ لأنه تعالى كثيراً ما يرتب الشفاء على استعماله ، فكذلك الدعاء سواء بسواء ، ولهذا الإشكال سأل بعض الأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: « أرأيت أعمالنا هذه أهى شىء قد فرغ منه ، أم هى أمر يستأنفه الله تعالى ؟ فقال : بل هى شىء قد فرغ منه ، فقالوا : ففيم العمل إذن ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

(بعض آثار الدعاء واقعيا)

وإذا تبين لك أن الدعاء قد يتحقق فى الدنيا ، فلهذا ينبغى أن تدعو ربك فيما عز وهان من أمرك ، فإنه قد يستجيب لك

فى الدنيا ، وإلا ففى الآخرة ، وقد ورد من آثاره فى الدنيا أن نوحا لما أصرّ قومه على الكفر بعد أن دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما سأل ربه أن لا يذر على الأرض من الكافرين ديارا فأهلكهم بالطوفان .

وأن أيوب لما دعا ربه أن يشفيه من مرضه أمره أن يضرب الأرض برجله، فضربها فنبعت منها عين ماء بارد، فأمره الله أن يغتسل من هذا المغتسل ويشرب من مائه ، ففعل فشفاه استجابة لدعائه .

ولما نفد الماء من المسلمين فى غزوة تبوك ، وكانوا فى الصحراء، والجو شديد الحرارة ، بلغ من ظمئهم وحاجتهم إلى الماء أنهم كانوا يذبحون البعير ويعتصرون فرثه[1] ليبلوا بعصارته ألسنتهم مع قلة الإبل معهم، فقال أبو بكر: يارسول الله إن الله عودك فى الدعاء خيراً ، فادع لنا قال: أتحبون ذلك؟ قالوا: نعم، فرفع يديه ودعا الله فلم يرجعهما حتى كان السحاب قد أمطرهم ولم يتجاوز الماء عسكرهم ، فشربوا وملأوا ما معهم من الروايا[2] .

رواه ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما ورويناه بالمعنى جمعا لعناصر القصة من الروايات المختلفة ، وعن أنس قال : « أصابت الناس سنة[1] على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ، فى السماء قزعة[2] : فوالذى نفسى بيده فرفع يديه وما نرى ما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى يوم الجمعة الأخرى » إلى آخر الحديث.

ولهذا شرعت صلاة الاستسقاء والدعاء بإنزال المطر عند الجدب ، ومازالت تلك سنة المسلمين، وكثيرا ما يحقق الله دعاءهم ويسعفهم بالمطر .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد أن الناس قحطوا على عهد معاوية فخرج يستسقى بهم ، فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية

(١) الفرث : السرجين فى الكرش .

(٢) جمع الراوية : وهى وعاء الماء الذى تحمله الإبل ويشبه القربة .

(١) السنة : الجدب والقحط .

(٢) القزعة : السحابة .

لأبى مسلم الخولانى: قد ترى ما حل بالناس فادع الله تعالى، فكشف البرنس عن رأسه ثم رفع يديه ثم قال: اللهم إنا منك نستمطر وقد جئت إليك بذنوبى فلا تخيبنى ، فما انصرفوا حتى سقوا، فقال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامنى مقام سمعه ، فإن كان عندك لى خير فاقبضنى إليك وكان ذلك يوم الخميس ، فمات أبو مسلم يوم الخميس المقبل - انتهى مرويا بالمعنى مختصرا لطوله

(أدعية مأثورة)

من الأدعية المأثورة دعاء علمه الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة وأوصاها به فقال : « عليك بالجوامع الكوامل، قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه ومالم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم ، وأستعيذبك مما استعاذ منه عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين ، ومنه ماعلمه فاطمة رضى الله عنها فقال: « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به : أن تقولى ياحى يا قيوم برحمتك أستغيث ، لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله » .

ومن استعاذاته صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع ، ومن طمع فى غير مطمع » وقوله : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع[1] ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئس البطانة ، ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ، ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم إنا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك ، اللهم إنى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار، وحسبنا ما ذكرناه والله تعالى هو الموفق ؟

مصطفى محمد الطير

---

(١) أى : لا يجاب .

١٦٥١٣